

## الأمراض والأوبئة عند العرب من خلال كتاب "الحيوان" للجاحظ

(ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)

م.د. فاطمة عبد المنعم سعيد الصراف  
كلية الآداب/ جامعة الكوفة / قسم التاريخ  
[Fatimaha.alsarraf@uokufa.edu.iq](mailto:Fatimaha.alsarraf@uokufa.edu.iq)

### الملخص:

وجد العرب ضرورة معرفة ما يواجهونه في حياتهم الصحراوية والحضرية من امراض وأوبئة لها علاقة مباشرة او غير مباشرة بحياتهم، ولما كان العرب يألفون العديد من الحيوانات كالخيول والكلاب على سبيل المثال لا الحصر ويستخدمونها في حلهم وترحالهم، لذا فإن هناك تماس مباشر بين ما يصيب الحيوان من مرض ووباء وامكانية إصابة الانسان بذلك المرض عن طريق العدوى، فنجد من الطبيعي ان يترتب على ذلك اهتمام عدد غير قليل من العلماء الذين وجدوا من الأهمية بمكان الوقوف على دراسة ومعالجة هذه الامراض وطرق انتشارها وكيفية معالجتها والوقاية منها، ولم يكن الجاحظ أول من أهتم بذلك لان العرب منذ القدم لهم اهتماماتهم بمجال الطب والأدوية إلا أن ما يميز الجاحظ هو جمعه لمعظم المعلومات التي تتعلق بالإنسان والامراض التي تصيبها من الحيوان أو من البيئة وكيفية معالجتها ولعل ما يؤكد ما ذهبنا اليه من اهتمام الجاحظ بعلاقة الانسان بالبيئة وما يصيبها منها من سقم أو عاقية نجد أن ابن خلدون ((ت ٨٠٨ هـ)) قد أصل لفكرة الجاحظ بقوله ((أن أصل الامراض الاغذية الغليظة والاعذية المخلوطة بأنواع التوابل، ثم أن الجو الفاسد الناتج من تزاحم الناس في المدن وتراكم فضلاتهم ومن ثم قلة الرياضة تؤدي الى ظهور الامراض))، ولعل ما يلفت النظر الى اهتمام الجاحظ بالأغذية وأوقات تناولها هو لإصابته بالفالج وعلاقة ذلك وفقاً للطب النبوي بأكل السمك ليلاً، ربما يكون أحد أسباب تأليف الكتاب من قبل المؤلف، إذ عُد مؤلفه من أروع الموسوعات التي شملت تنوعاً ادبياً وعلمياً واضحاً عليه أيضاً متابعة المعلومة العلمية من الشرق والغرب وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على الأثر العلمي الذي تميز به الجاحظ في وقته.

الكلمات المفتاحية: العرب، الجاحظ، الحيوان، الامراض، الأوبئة، كتاب.

## Diseases and Epidemics among the Arabs in the Book of Animal by al-Jahiz (d. 255 AH/868 AD)

Lecturer Dr. Fatima Abd-el-Mun'im Sa'eed al-Sarraf  
Faculty of Arts – University of Kufa – History Dept.

### Abstract:

'Necessity is the mother of invention'. From this standpoint, Arabs found it necessary to know what diseases and epidemics they face in their desert and urban lives that have a direct or indirect relationship to their lives. Since the Arabs are familiar with many animals, such as horses and dogs, for example and not limited, they use them during their homes and travels, therefore, there is a direct connection between the disease and epidemic that afflict animals and the possibility of humans contracting that disease through inflection. We find it natural that this resulted in the interest of quite of a few scientists who found it important to study and treat these diseases, the ways they spread and how to treat and prevent them.

DOI: <https://doi.org/10.36317/kaj/2023/v1.i58.13712>

Kufa Journal of Arts by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.  
مجلة آداب الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤.٠ الدولي.



Al-Jahiz was not the first to be interested in this, because the Arabs have had their interests in the field of medicine and epidemics since ancient times. But what recognizes al-Jahiz is his collection of most information that related to man and diseases that affected him from animals or the environment he lives in and how they are treated and how they are treated. Perhaps what confirms what we have said about Al-Jahiz's interest in man's relationship with the environment and the sickness and wellness that afflict him from it, we find Ibn Khaldun (d.808 AH) established Al-Jahiz's idea by saying: "The origin of diseases is thick food and food mixed with various types of spices, and then, the corrupt atmosphere resulting from the crowding of people in cities, the accumulation of their waste, and then, the lack of exercise, lead to the emergence of diseases." Perhaps what draws attention to Al-Jahiz's interest in foods and the times of eating them is because he suffered from paralysis and the relationship of this, according to the Prophet's medicine, to eating fish at night. Perhaps it is one of the reasons for writing the book by the author, as it was considered one of the most wonderful encyclopedias that included literally and scientific diversity. It is clear that the source of scientific information comes from from the East and the West, and this, if it indicates anything, it indicates the scientific enrichment that distinguished Al-Jahiz in his time.

**Keywords:** environment, al-Jahiz, the Book of the Animal, diseases, epidemics, medicines.

## المقدمة

تناول الجاحظ في كتابه الحيوان العديد من المعلومات التي لا علاقة لها بعنوان الكتاب مما كان لذلك مدعاة من قبل الباحثة للبحث والتقصي في طيات ذلك الارث العلمي الواسع واستخراج ما هو مفيد ونافع وله علاقة مباشرة لحياة الإنسان التي وصفها القران الكريم بان من احيا نفساً كأنما احيا الناس جميعاً.

ولعل لتنوع مفردات الكتاب تعود لتنوع وثراء العلوم العقلية والنقلية في عصر الجاحظ العصر الذهبي في دولة بني العباس وبالوجه الخاص عصري الرشيد والمأمون، فبالإضافة إلى ظهور العديد من المؤلفات فقد اثرتها الكتب المترجمة من علوم اليونان الفرس وغيرهم.

تميز كتاب الجاحظ بتناول العديد من الامراض التي تصيب الإنسان وطرق علاجها واسبابها سيما وان العرب والاعراب كانوا على تماس واضح مع الحيوانات، وقد عبر عن ذلك بالابتلاء بل، ربما كثيراً ما يبتلون بالناب والمخلب واللدغ واللسع، والعض والاكل، فخرجت بهم الحال الى تعرف حال الجاني والجراح والقاتل، وحال المجني عليه والمجروح والمقتول، وكيف الداء والدواء، لطول الحاجة، ولطول وقوع البصر، مع ما يتوارثون من المعرفة بالداء والدواء.

إن ما يُلحظ حينما يُطلع على كتاب الحيوان يجد اعجوبة حقيقية تجلت في الجاحظ حينما ألف هذا الكتاب لأنه طارد المعلومة عند العرب والاعراب وفي الشرق والغرب وكل ما يمت لها بصلة قد جمعها وحتى إن كان شعراً أو مثلاً، وبذلك فهو يعطي للقارئ فسحة من الراحة والاستمتاع بتنوع المعلومات ومصادرهما.

الأمراض والأوبئة عند العرب من خلال كتاب "الحيوان" للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ..... (٣٥٣)

اعتمد الجاحظ على مصادر مختلفة في مقدمتها القرآن الكريم والسنة وعلى علوم العلماء واقوال الفلاسفة وشعر العرب.

تتبعنا ما أشار إليه الجاحظ في أجزاء كتابه السبعة ما يؤثر على الإنسان وصحته وابتداءً بالبيئة وأثرها على الإنسان والحيوان والنبات وتأثير تباين البيئة على كل واحد من هذه المصنفات، كما أوضح العديد من الأمراض التي تصيب الإنسان أثناء حديثه عن الطب وكيفية العلاج لذلك.

ولعل لإصابة المؤلف بالفالج كان ذلك مدعاة لتأليف الكتاب فقد حذر الطبيب بختيشوع الجاحظ من الجمع بين السمك واللبن في الأكل فأمتنع الأخير واصابه إثر ذلك الفالج فضلاً عن الاسباب سابقة الذكر.

سعت الباحثة لتتبع كل ما ذكره الجاحظ من أمراض تصيب الإنسان وكيفية علاجها في أجزاء الكتاب السبعة، وعلاقة النظافة ببعض الامراض وانتشارها.

وأخيراً يمكن القول إن كتاب الحيوان كتاباً موسوعياً جمع بين مختلف العلوم والتاريخ والأدب والشعر وعلم الكلام والمقالات.

## المبحث الأول

### الحياة الاجتماعية للعرب وعلاقتها بالأمراض والأوبئة

كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان في كتابه الكريم [مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا] (القران الكريم، سورة المائدة، آية ٣٢) فالنفس البشرية لها أهميتها لذا يجب الحفاظ عليها وعلى ما يعود عليها بالنفع ولما كان لكل شيء مؤثر وند وأن قبال الصحة هناك مرض ولهذا المرض صنعة وهو التطبيب التي أطلق عليها أيضاً اسم الحكيم [وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا] (القران الكريم، سورة البقرة، آية ٢٦٩). ولا يزال اسم الحكيم متداولاً إلى اليوم، ومن عمل بهذا العمل فقد أنعم الله عليه بنعمة توجب الشكر، ولم تكن حكراً على المتدينين أو غيرهم لذلك كانت هذه الصنعة للمسلمين وغير المسلمين.

إن الأوضاع الاجتماعية التي عاشها العرب أملت عليهم ظروفاً خاصة جعلتهم بحاجة ماسة وخاصة للطب وإيجاد ومعرفة الأمراض وطرق علاجها، فكان لسكانهم في شبه جزيرة العرب وهو الإقليم المعتدل حسب ما وصفه ابن خلدون الأثر الواضح في تماسهم مع الأمراض سواءً ما كان يسكن منهم الحضرة أو البادية، فأهل البادية كان اعتمادهم على الحيوانات وبخاصة الخيل والابل وغيرها (علي ، ١٣٨٠ هـ ، ج ١ ، ص ٣٤٥)، وأهل الحضرة ممن عرفوا بأهل الترف وهم ذو غذاء يختلف كونه ونوعه عن أهل البادية وبذلك فإنهم يمرضون قبل غيرهم ((إن المنغمسين في الخصب المتعودين للادم والسمن خصوصاً تكتسب من ذلك امعاؤهم رطوبة فوق رطوبتها الأصلية المزاجية حتى تجاوز حدها فإذا خولف بها العادة بقلة الأوقات وفقدان اادم واستعمال الخشن غير المؤلف من الغذاء اسرع إلى اليبس والانكماش وهو ضعيف في الغاية فيسرع إليه المرض ويهلك صاحبه دفعة خالها لكون من المجاعات إنما قتلهم الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق) (أبن خلدون ، ١٩٨٨ ، ص ٦٥) وكانت العرب تعتقد أن الامراض التي تصيب الإنسان أساسها الإفراط من الطعام على اعتبار أن ((المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء)) (نهج البلاغة، د، ت، ص ٥٦)، إذا علمنا أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أكد على قلة الطعام باعتباره أصل كل داء ((أصل كل داء البردة)) (الترمذي ، ٢٠١٤ ، ص ٥٩٦) ( البردة : التخمرة )، وقال الإمام علي (عليه السلام) ((كم من أكلة منعت أكالات)) (نهج البلاغة ، د، ت، ص ٥٤٨).

أما من سكن في البادية وأطراف المدن فإن اعتمادهم على الحيوانات وبخاصة الإبل والخيل وغيرها بدرجة كبيرة، فقد عرفوا أمراضها وعلاجها وما ينتقل منها إلى الإنسان وضارها ونافعها (المسعودي، ٢٠٠٧ ، ج ٢ ، ص ٤٥).

كما أن السلوك والعادات والتقاليد هي من موروثات المجتمع فالنظافة مثلاً تعتبر من مقومات الصحة الجيدة وقد أكدت الأحاديث النبوية الشريفة على ذلك ((تنظفوا فإن الإسلام نظيف)) (مسلم ، ٢٠٠٥ ، ص ١٠٧١)، فضلاً عن العبادات التي هي أيضاً لها علاقة واضحة

بديمومة الصحة والحفاظ عليها فالصلاة والصيام تتجلى بها عادات صحية واضحة من خلال الغسل المتكرر لكل فرض صلاة ومن أسباب عدم النظافة هو انتشار وباء القمل الذي يتولد من عرق الإنسان ومن رائحته ووسخ جلده ونجاسة بدنه (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج٣ ، ص١٢٨) ، وربما يكون سبب القمل غير ذلك فبعض الناس قمل الطبايع وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب فعبد الرحمن بن عوف والزيبير بن العوام استأذنا الرسول (صلى الله عليه وآله) في لبس الحرير فأذن لهما ولولا ما كانا عليه من حاجة لما أذن لهم النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكان في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ) رأى على أحد بني المغيرة قميص من حرير فعلاه بالدرة فقال المغيرة أوليس عبد الرحمن بن عوف يلبس الحرير؟ قال: وأنت مثل عبد الرحمن، لا أم لك (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج٥ ، ص١٥٠).

كما أن الصحة من انقطاع الأكل والشرب خلال ساعات طويلة تؤدي إلى تخلص الجسم من السموم التي تتراكم في الجسم ((صوموا تصحوا)) (الترمذي ، ٢٠١٤ ، ص٢٩٦) ، ومن ناحية أخرى فإن للعبادة أثر في علاج الروح فالإيمان يطرد القلق الذي يسبب اضطراب الأعصاب والاكنتئاب(السامرائي ، ١٩٨٦ ، ص٣٠٦).

وفي قبال ذلك يوجد في المجتمع العربي بعض العادات والتقاليد التي تؤدي إلى بعض الأمراض والإصابات الجسدية أحياناً النفسية، فمسألة الخصاء ( لمعرفة المزيد عن الخصاء : ابن منظور ، ٢٠١٥ ، ج١ ، ص١١٠٠) وما يتعرض لها المجتمع من معاناة والتي وقف التشريع الإسلامي موقفاً واضحاً أمام كل ما يتعرض له الجسد من أذى ( الماوردي ، د.ت ، ص٧٥ ) ، بقوله (صلى الله عليه وآله): ((إن لجسدك عليك حقاً)) (النسائي ، ٢٠١٣ ، ص١٠٧٥) ، من هنا يظهر بشكل واضح اهتمام الإسلام بعناية الجسم باعتباره ضرورة لتحقيق سعادة الإنسان، حتى قيل ((إن لله في كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المعصية)) ( الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص١٣٩) بينما نجد في هذه الظاهرة ما يعرض جسد الإنسان إلى فقدان الكثير من النعم مثل منبث الشعر وشكل الأصابع كما قيل أنه متى خُصّي الرجل سقطت نفسه وثقلت حركته وذهب نشاطه ولا بد أن يعرض له فساد (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص٨٣)، أما ريحه فتصبح انتن وصنانه أحد، ويعم خبث العرث سائر جسده، حتى لتوجد لأجسادهم رائحة لا تكون لغيرهم (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص٧٦). كما يتصفون بسرعة الغضب والرضا، كما وجدوا أن أعمار من خصي عن عدمه أطول وأوعزوا ذلك السبب لعدم النكاح (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص٩٢) ، والعديد من الصفات التي يطول ذكرها (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص٧٦-٩٢) ، ولعل أبرز تلك الصفات هي الذكاء إذ ذهب البعض إلى القول بأنهم يصبحون أكثر ذكاءً من غيرهم من نفس العائلة (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص٨٢) ، وربما دفع العرب هذا الأمر ليكون أبناءهم خدماً في البلاط ليضمنوا منهم قوت عيشهم، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن هذه الظاهرة عندما استأذنه عثمان بن مظعون في ذلك فقال (صلى الله عليه وآله) ((خصاء امتي الصوم، والصوم رجاء، فهذا اخصاء الديانة)) (الجاحظ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص٨٨).

بينما نجد معظم العرب يسعون إلى تحسين جنس أبناءهم والإكثار من الأولاد من خلال المباينة في التزاوج وظهور جنس الخلاسي وهو زواج الحبشي والبيضاء فيظهر جنس أعظم من أبويه وأقوى من أصلية ومثمريه، ويكون الولد أحسن وأملح من أبويه (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ١، ص ١٠٨)

كما اعتقد العرب أن الولد إذا نام على بكاء وفرع وهم فإن ذلك مما يعمل في الفساد، بينما إذا نام على سرور فإنه يسري فيه ويعمل في طباعه، والأم الجاهلة الخرقاء إذا لم تعرف فرق ما بين هاتين الحالتين كثر منها ذلك الفساد فيخرج الصبي مائعاً (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ١، ص ١٠٣)، ولذلك نجد أن العرب تتخير لأبنائهم الزوجات ذوات العقول الراجحة بغية تنشأة الولد نشأة صالحة. وصحيحة البدن لأنهم يزعمون أن المرأة المرضع إذا أخذت الدواء أثر بلبنها والرضيع قبل التأثير بها ((كذلك يختار الحكماء لأولادهم الظئر البريئة من الأدوية في عقلها وفي بدنها) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ١٤٨).

وأيضاً مما ذكر أنهم كانوا يستخدمون الأصوات الخاصة التي ينومون بها الأطفال والصبية (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٨٦) وكذلك ما ساد عندهم أن ما ينعف الطفل أثناء نومه هو المصباح ((إن الطفل لا يناعي شيئاً كما يناعي المصباح) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٢، ص ٢٨٤) واعتاد العرب أن يطعموا غلمانهم وخدامهم قبلهم وكانوا يوصون أن يشبعوهم لأنهم كانوا يكرهون وقوفهم فوق رؤوسهم وهم يأكلون مخافة النفس والعين، وعلى هذا الأساس فإنهم يكرهون الأكل بين أيدي السباع خوفاً من نفوسها وعينها (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٢، ص ٢٨٤). ومثلما كانت العرب تعشى من الحسد والعين فإنها تخاف السحر أيضاً وحتى لا يتأثروا بالسحر كانوا يعتقدون بأن من أكل لحم السنور الأسود لم يضره السحر (الدميري، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٥٠٠). واعتقد العرب بالسنور وما يؤثر على مجريات حياتهم عند التعامل معه ومع أجزاء جسمه خيراً وربما جاء ذلك من الاعتقاد السائد بأن أهل سفينة نوح حين تأذوا من الفأر فمسح نوح جبهة الأسد فعطس فرمى بالسنور، فكان ذلك مدعاةً لراحتهم (الدميري، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٤٩٨).

## علاقة البيئة والانسان في كتاب الحيوان:

أحصى لنا الجاحظ مجموعة غير قليلة بمعلومات قيمة عن علاقة بيئة العرب والإنسان من نواحي متعددة، إلا أن ما يثري هذه المعلومات هي إشارته إلى أخذ معظم هذه المعلومات من العرب والأعراب (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٦، ص ١٣)، وأنه أعطى لنفسه عذراً في عدم الاستفادة من علماء الفرس وأطبائهم وعلوم ملوكهم وأن ذلك لم يكن بدافع العصبية وإنما هو اعتقاد منه بأن عقول قومه هي أولى بإظهارها على غيرها (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ١٣١).

فهو يرى أن العرب - والاعراب منهم خاصة - قد ثقفوا معرفة الحيوان وبرعوا في ذلك البراعة، واستوعبوا حالة وعادة ويقول في ذلك ((وقل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من

الفلاسفة، وقرأناه في كتب الأطباء إلا ونحن قد وجدناه أو قريباً منه في أشعار العرب والأعراب ويعلل سبب هذه المعرفة هو وربما، بل كثيراً ما يبتلون بالناوب والمخلب، واللدغ واللسع، والعض والأكل، فخرجت بهم الحال إلى تعرف حال الجاني والجراح والقاتل، وحال المجني عليه والمجروح والمقتول، وكيف الطلب والهرب، وكيف الداء والدواء لطول الحاجة، ولطول وقوع البصر، مع ما يتوارثون من المعرفة بالداء والدواء)) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ١، ص ١٤).

إن اعتماده على ما يتناقله العرب والاعراب لم يكن على حساب المادة العلمية فلم يكن الجاحظ بالشيء الهين في قبول هذا وذلك فهو رجل جريء العقل، عنيف الفكر، لا يقبل بعلات النصوص (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٦، ص ١٧٤)، وكثيراً ما كان يرفض ما يرويه حتى كبار العلماء فضلاً عن العرب والأعراب من خلال عدم قبوله ببعض ما يعرض عليه من علومهم وعاداتهم.

تناول الجاحظ موضوع العلاقة بين الإنسان وبيئته من أبواب متعددة مثل الطباع والجينات الوراثية التي تؤثر على سلالة البشر من خلال اعتدال الجو وعدمه، وألوان البشر، ومن هذه العلاقة أوضح تأثير الحيوانات على الإنسان ومعرفة الأخير بها وكيف استفاد منها فيذكر أن المناخ إذا اتصف بالاعتدال فإن تأثيره يكون واضحاً على عقول الناس وقرائهم وأدابهم وشمائلهم وتصرف همهم في لؤمهم وكرمهم ويعزز ذلك التباين إلى الاختلاف السبك وطبقات الطبخ (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ١٩).

حتى أيد وأصل لذلك اليعقوبي (اليعقوبي، ١٩٨٨، ص ٣)، والمسعودي (المسعودي، ١٩٩٣، ص ٥٣)، والقزويني (القزويني، د.ت، ص ٨) وابن خلدون (أبن خلدون، ١٩٨٨، ص ٦٠) من بعدهم، وبذلك فهو يعلل عن سبب رجاحة عقول أهل بابل وإقليمها فوق العقول وجمالهم فوق الجمال إلى اعتدال مناخهم، أما الزنج فإنهم شرار الناس وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٢، ص ٣٥٨). وزاد مسكويه على ذلك ((أن إقليم الوسط هو أكثر الأقاليم تأثيراً على البشر في قوة الفهم والذكاء والقبول للفضائل، فيصير فيهم العاقل التام، والمميز العالم) (ابن مسكويه، ١٤١٣، ص ٦٣). وإلى ذلك الإقليم نسب نقاء الهواء معتبراً أن الهواء النقي يصلح الماء والماء يصلح التربة، والعكس صحيح لذلك يُلحظ أن فساد طباع الزنج والصقالبة من فساد هوائهم (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٣٥٨) وعلى هذا نجد أن الجاحظ يذكر أن من أقام بالأهواز حولاً وجد نقصاً في عقله بيناً (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٣٨).

ولأن أرض الهند عفنة وهوائها لخن فإن بيئتها لم تكن بيئة صحيحة حتى قيل إنهم ومن كثرة ما ينتشر من الذباب عندهم من لخن بيئتهم لا يستطيعون طبخ طعامهم في النهار لتهافت الذباب في القدر (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٦٣)، في حين نجد أن من اتصفت تربتهم بالتربة الصحيحة ومن كثرت أرضهم بالخضرة فيرى أن أهلها أقل خفشاناً وعمياناً وعمثاناً وعوراً ويعتقد أن سبب ذلك يعود لكثرة نضرم إلى الخضرة (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٣، ص ١٢٧).

وأما البشرة فإن اختلاف المناخ يخلق بشرة سوداء أو بيضاء، وأن امتزاج هذين الجنسين يكون تركيباً أعظم من الأبوين وأقوى من الأصلين وأقوى وأملح كزواج الهند مع البيض (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٣، ص ١٢٥)، وما يتعلق باللون أيضاً فإن من الأمور الغريبة أن هناك منطقة في بلاد الترك تدعى ((حَرَة بني سليم)) تسود كل ما يكون فيها بما فيه الإنسان ((الجاحظ، ٢٠١٠، ج ١، ص ١٠٣)). وفي تأثير البيئة على الإنسان نجد أن الجاحظ يذكر لنا أن في الأرض ثلاث مواضع يطول فيها عمر الإنسان أولها سرو حمير (ينظر: الحموي، دت، ج ٥، ص ٤٤) وفرغانة (الحموي، دت، ج ٦، ص ٤٢٨) واليمامة (الحموي، دت، ج ٨، ص ٥٠٥)، وأما الموصل فإن من أقام بها حولاً وجد في قوته فضلاً (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٦٣)، وأما فضل المكان على القرية فإن التبت خير مكان لذلك، فإن ((من دخل التبت لم يزل ضاحكاً مسروراً حتى يخرج منها)) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٦٣).

أما ما يتعلق بالصحة والبيئة فإنه أشار إلى أن أصح الناس هم أهل الوبر ونسب العلة في ذلك إلى تعرضهم لأشعة الشمس أكثر من غيرهم (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ٤٨)، لأن فيها من الفيتامينات التي لا تعوض حتى بأصح أنواع الأطعمة ولعل المقصود منها فيتامين (D)، وأن من سكن سواحل البحار هم أكثر عرضة لظاهرة المد والجزر وسبب ذلك التأثير يعود لزيادة القمر إلى أن يصير بديراً أثر على زيادة الدماء والأدمغة وزيادة جميع الرطوبات، ويكون لهذه الزيادة أسوأ الأثر على من بهم صرع إذ أن هذا المرض يزداد لديهم هناك في أنصاف الشهور (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ١٨٩).

وأما ما استفاد به الجاحظ من معرفة العرب والأعراب بالحيوان وتعايشهم معه نسبة إلى طبيعة البيئة فمع الصحراء كانت الحية والعقرب ومع الماء أيضاً استفادوا من حيواناته في استطبائهم من حيث العلاج أو معرفة طرق علاجية نقلاً عن بعض تلك الحيوانات.

شهدت صحراء العرب أنواع من الأفاعي التي تعايش معها سكانها ولكثرة ما ورد عنها من أخبار وأحداث حتى تطور الأمر إلى أن تنسج عنها قصص من ضرب الخيال حتى باتت أشبه بالحقيقة ففيل إن هناك حية ذات رأسين (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٧١)، وذات لسانين ((الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٧٣)، وقد أبدى الجاحظ رأيه في ذلك بقوله: ((وهذا عندي غلط)) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٧٣)، وإنما أريد من ذلك هو التهويل والرعب.

أما سمّ الأفاعي فهو الآخر له علاقة واضحة مع البيئة ومناخها وطبيعة رمالها وحال الرطوبة وحرارة الجو وغيرها من متغيرات البلدان ((ولدغ الهوام، يختلف بقدر اختلاف البلدان)) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٣٠١) ولأن طبيعة أرض العرب وسكنا العرب في البادية ولكثرة الأفاعي حتى كانوا يشجعون على قتلها والتخلص منها حتى قيل: من قتل حية كأنما قتل كافر (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٣٢٨). وربما كان استنادهم على ذلك من القرآن الكريم: [... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...] (القران الكريم، سورة المائدة، آية ٣٢)، بينما ذكر أن الإمام علي (عليه السلام) (الدميري، ٢٠٠٥، ج ٢، ص ٧٣)، ومن كثرة ألفتهم للحية والعقرب



الأمراض والأوبئة عند العرب من خلال كتاب "الحيوان" للجاحظ (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ..... (٣٥٩)

فإنهم كانوا يأكلونها بعد أن تشوى وأن أحد أهل البصرة كان يقتل الحية ذو الطفتين كثيراً ما يأكل الحية وقد أكلها وفيها جزء من سمها فلم يشعر بعد حتى أدى ذلك لموته بالحال (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ٣٣٢).

وصنعوا السم من الأوزاغ بعد أن يضعوه في قارورة مع الزيت في الشمس اربعين يوماً حتى يصبح من أخطر السموم وأشدها (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٣٢٨).

كما علموا أماكن جحور الحيوانات في الصحراء عند سقوط الثلج، مفسرين تلك المعرفة من خلال انحسار ورقة الثلج القريب من الحجر بسبب أنفاس هذه الحيوانات (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٦، ص ١٩٢).

أما البيئة المائية التي هي الأخرى نجد أن الإنسان له علاقة واضحة معها فقد عرف الطب الحقنة من الطير الذي يستخدم ماء البحر المالح عندما يكون مصاباً بالحصير فيأخذ بمنقاره من ذلك الماء ويدخله في جوفه فإذا فعل ذلك ذرق واستراح (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٢٢٠) بينما عالج سكان شواطئ النيل مرضى الطحال باستخدام ضرس خيل الماء (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٢٧٠)، وكانت العرب تعتقد أن لبس النعال باليمين وخلعه باليسار يأمن وجع الطحال (الدميري، ٢٠٠٥، ج ٢، ص ٢١٣).

كما عالجوا من حيوانات الماء ما يعرف بالسقنقور (ينظر: الدميري، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٤٨٤) إذ أن العاجز عن النساء إذا أكل لحمه مكنه من ذلك (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٣١٠)، وكذلك فإن لحمه يعالج به الكليتين (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٦، ص ١٩٨).

## المبحث الثاني

### الأمراض والأوبئة التي تصيب الإنسان وعلاجها في كتاب الحيوان

بين الجاحظ مجموعة من الاستطباقات سواءً بالغذاء أو بغيره أو ما يسببه الغذاء من داء موضحاً علاج ذلك من خلال اطلاعه على مجموعة من المصادر منها القرآن الكريم واعتمد كثيراً على خبرته الشخصية فقد كان مولعاً بمسألة العلم ممن يتوسم فيهم ذلك، وكان بسيطاً رغم أنه كانت له حظوة لدى السلطة العباسية من خليفة ووزراء (أبن النديم، ٢٠١٠، ص ١٩٧)، إلا أنه كان يختلط بالبسطاء ويسمع من الجميع ويتخير لما يسمع، فيذكر ((وخبرني من يصيد العصافير)) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٦، ص ١٩٨)، فجاءت معلوماته متنوعة اعتمد عليها من جاء من بعده وله صيتاً في مجال الطب أو الحيوان.

ولأجل المنفعة من هذا الرافد العلمي فقد تتبعت الباحثة أجزاء الكتاب السبعة بالكامل واستخراج ما يتعلق بداء ودواء الإنسان منها سواءً ما يؤثر بالإنسان أو حيوان كان أم نبات وسندرج ذلك رفقاً لتسلسل الحروف الأبجدية.

- ١) - بنات عرس: لحومها تنفع لمن يشكو الصرع والجنون (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ١٩٨).
- البلاندر ينفع الذاكرة ويعالج العصب، ويقول الجاحظ قال لي من أثق به، ما أخذت البلاندر: فنازعت أحد لإظهرت عليه (أبن النديم، ٢٠١٠، ص ١٨٠)، وعلى أساس ذلك تلقب المؤرخ أحمد بن يحيى بالبلاندري لأنه شرب تمر البلاندر (الذهبي، ٢٠٠٦، ج ٩، ص ٢٨١)، لغرض تقوية الذاكرة (الطبري، ١٩٧٦، ج ٣، ص ٣٠٣).
- الباقلاء: عفن فاسد الطبع، رديء يخثر الدم ويغلظه ويورث السوداء وكل بلاء (٧) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٣، ص ١٣٨).
- البصل: رديئاً للذهن فهو رديء للعصب (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٣، ص ١٣٨).
- ٢) - الترياق لعلاج المسموم بالأفعى شرط ألا يقل ولا يزيد (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٥٩)، والفرع والخوف يعمل على سريان السم (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٥٨).
- ٣) - الجراد، أكله يضعف الجسم (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ٢٢٢).
- ٤) - الحمام فراء الأحمر منه يستخدم لعلاج واستنزال الرمل والحصى من الكلى (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٢٤٩).
- الحمار روثه لعلاج الحصى (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٢٤٨).
- الحصر يؤدي إلى القعاص وثقل الرأس (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ٦٧).

الأمراض والأوبئة عند العرب من خلال كتاب "الحيوان" للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ..... (٣٦١)

(٥) - الخنزير: عظمه من أفضل العظام بالنسبة للإنسان في حالة توصيل عظم بعظم لحسن الالتحام (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٢٨).

(٦) - الديك: دماغ الديك علاج لوجع الكلية (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٢، ص ٣٨٣).

- دهن العقرب علاج لفتق الخصية (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ١٦١).

(٧) - رماد العقرب نصف دائق منه يفتت الحصى في الكلى (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ١٤٢).

(٨) - السنور: لحم الأسود منه إذا أكل لا يضر مع الأكل السحر (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٢، ص ٣١٥).

- السماني إذا أكله الإنسان يصاب بالدوار (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٣٣٢).

- السقنقور من أكله وكان عاجزاً عن اتيان النساء مكنه ذلك (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٣١٠).

(٩) - العصفور: أكله علاج للبالغ، والعوام تأكله للقوة على الجماع (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ٩٣).

- العسل: علاج لوجع البطن (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ١٧٢).

(١٠) - الضأن: لحمه يزيد من اشتداد مرض الصرع حتى أنهم يصرعون في غير أوانهم (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ٢٢٥).

(١١) - الفهد: إذا تحملت المرأة من بوله فتصير عاقراً (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٢، ص ٢٢٩، وكذلك فرط السمنة تجعل المرأة عاقر (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٧٧).

- الفيل: فجوه إذا خلط بالهسل واحتملت منه المرأة فإنها تقعر (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٢٤٨).

- الفأر: فراه علاج لداء الثعلب وهو القرع (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٧، ص ٢٤٩)، وكذلك يطلق أسر البول للإنسان ويعالج الحصر حتى قيل عنه ((خرء الفأر علاج لداءين قاتلين)) (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٥، ص ١١٧).

(١٢) - اللب: لا يعطى المسموم بسم الحية اللبن لأن ذلك مميتاً (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٢٦٠).

(١٣) - النعام: وضرر النعام للإنسان لا من خلال ما يؤكل منها أو يشرب وإنما من خلال تحجينها فيقول الجاحظ إذا رأت لؤلؤة أو قرطاً فيه حجر في أذن الجارية أو الصبية فتضربها بمنقارها وتخرق أذننها (الجاحظ، ٢٠١٠، ج ٤، ص ٣٤٣).

## خلاصة البحث

إن المعرفة يجب البحث عنها وملاحظتها أينما كانت، ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى، كما أنه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى، ولو تميز المضار من المنافع والرديء من الجيد بالعيون المجعولة لذلك، لما جعل الله عز وجل العيون المدركة، والإنسان الحساس إذا كانت الأمور المميزة عنده أخذ ما يحتاج إليه وترك ما يستغني عنه وما يضر أخذه، فيأخذ ما يحب ويدع ما يكره، ويشكر على المحبوب ويصبر على المكروه، حتى يذكر بالمكروه كيفية العقاب ويذكر بالمحسوب كيفية الثواب، ويمكن إيجاز أهم ما توصلنا إليه من اختيار ما اخترناه وما أحببنا وكرهنا من كتاب الحيوان للجاحظ ما يلي:

- ١- أن القرآن الكريم والسنة من أهم مصادر العلوم والمعرفة فضلاً عن التشريع لذا يجب الإحاطة بالجانب العلمي مع احتفاظنا بالجانب الديني.
- ٢- أفضل أنواع العلاجات هو أتباع السنة النبوية.
- ٣- الطب البديل يعد مهم جداً وأن العرب لهم الباع الأول في هذا المضمار.
- ٤- بعض الأمراض والأوبئة تتولد من انعدام النظافة.
- ٥- البيئة لها تأثير مباشر على صحة الإنسان بوجه خاص وعلى الكائنات الحية الأخرى بوجه عام.
- ٦- أن مراعاة الطعام من حيث الكم والنوع له أثره في إصابة الإنسان ببعض الأمراض.
- ٧- العلاقة بين الإنسان والحيوان علاقة قوية جداً سواء شعر الإنسان بذلك أو لا.
- ٨- الغذاء والدواء أحدهما مكمل للآخر بالنسبة للعلاج.
- ٩- الحضارة بنت العلم والعلم ضالة كل مؤمن وإن أول وآخر العلوم الواجب استنباط العلم منها هي القرآن والسنة وبهذا تنبت وتزدهر حضارتنا الإسلامية.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ)، سنن الترمذي، تح: خالد عبد الغني، ط ٥، دار الكتب العلمية، (بيروت - ٢٠١٤).
- الجاحظ، أبو عمرو عثمان (ت ٢٥٥هـ)، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار احياء التراث، (بيروت - ٢٠١٠).
- الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، قدم له: محمد عبد الحمن المرعشلي، دار احياء التراث، (بيروت - د، ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن حمد (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، تحقيق: عبد اللطيف سامر، دار الهلال، (بيروت - ١٩٨٨).
- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، اعتنى بتصحيحها: عبد اللطيف سامر، دار احياء التراث، (بيروت - ٢٠٠٥).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: محمود شاكر، دار احياء التراث، (بيروت - ٢٠٠٦).
- السامرائي، خليل إبراهيم، دراسات في تاريخ الفكر العربي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٦.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (القاهرة - ١٩٧٦).
- علي بن ابي طالب (ت ٤٠هـ)، نهج البلاغة، منشورات الشريف الرضي، (د-ت).
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة شريعت، (إيران - ١٣٨٠هـ).
- الفزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ)، أثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت - د. ت).
- الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، (بيروت - د، ت).
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ)، التنبيه والإشراف، تنقيح: لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، (بيروت - ١٩٩٣).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية (بيروت - ٢٠٠٧).
- مسلم، أبو الحسين الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، مؤسسة المختار، (القاهرة - ٢٠٠٥).
- ابن مسكويه، احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، انتشارات بيدار، (قم - ١٤١٣هـ).

الأمراض والأوبئة عند العرب من خلال كتاب "الحيوان" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) ..... (٣٦٤)

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تدقيق: يوسف البقاعي، مؤسسة الاعلمي (بيروت - ٢٠١٥).
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٠هـ)، الفهرست، تح: علي طويل، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت - ٢٠١٠).
- النسائي، احمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، ضبط: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت - ٢٠١٣).
- اليعقوبي، احمد بن اسحق (ت ٢٩٢هـ)، البلدان، دار احياء التراث، (بيروت - ١٩٩٣).

Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa (d. 297 AH), Sunan Al-Tirmidhi, edited by: Khaled Abdul Ghani, 5th edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut – 2014).

Al-Jahiz, Abu Amr Othman (d. 255 AH), Book of Animals, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Heritage Revival House, (Beirut – 2010).

•Al-Hamawi, Shihab al-Din bin Abdullah (d. 626 AH), Mu'jam al-Buldan, presented by: Muhammad Abd al-Haman al-Maraashli, Dar Ihya al-Turath, (Beirut - D, T).

Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Hamad (d. 808 AH), Introduction, edited by: Abdul Latif Samer, Dar Al Hilal, (Beirut – 1988).

Al-Dumairi, Kamal al-Din Muhammad bin Musa (808 AH), The Great Life of the Animal, corrected by: Abdul Latif Samer, Dar Ihya al-Turath, (Beirut – 2005).

Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad bin Ahmad (d. 748 AH), Biographies of Noble Figures, edited by: Mahmoud Shaker, Heritage Revival House, (Beirut – 2006).

Al-Samarrai, Khalil Ibrahim, Studies in the History of Arab Thought, Mosul University Press, 1986.

الأمراض والأوبئة عند العرب من خلال كتاب "الحيوان" للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ..... (٣٦٥)

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir (d. 310 AH), History of the Messengers and Kings, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maaref (Cairo – 1976).

Ali bin Abi Talib (d. 40 AH), Nahj al-Balagha, Publications of al-Sharif al-Radi, (d-d).

Ali, Jawad, Al-Mufasssal fi Tarikh al-Arab before Islam, Shariat Press, (Iran - 1380 AH).

Al-Qazwini, Zakaria bin Muhammad (d. 682 AH), Athar al-Bilad wa Akhbar al-Ibad, Dar Sader, (Beirut - d.d.).

Al-Mawardi, Abi Al-Hasan Ali bin Muhammad (d. 450 AH), Royal Rulings and Religious Provinces, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut - D, T).

Al-Masoudi, Abi Al-Hassan Ali bin Al-Hussein (d. 436 AH), Al-Tanbih wa Al-Sharaf, edited by: Heritage Investigation Committee, Al-Hilal House and Library, (Beirut – 1993).

Meadows of Gold and Substantial Minerals, edited by: Kamal Hassan Marei, Modern Library (Beirut – 2007)

Muslim, Abu Al-Hussein bin Al-Hajjaj (d. 261 AH), Sahih Muslim, Al-Mukhtar Foundation, (Cairo – 2005).

Ibn Miskawayh, Ahmed bin Muhammad (d. 421 AH), Refinement of Morals and Purification of Races, Bidar Publications, (Qom - 1413 AH).

Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad bin Makram (d. 711 AH), Lisan al-Arab, edited by: Youssef al-Bikai, Al-Alami Foundation (Beirut – 2015).

Ibn al-Nadim, Abu al-Faraj Muhammad bin Abi Yaqoub (d. 380 AH), Al-Fahrist, ed.: Ali Tawil, 3rd edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut – 2010).

الأمراض والأوبئة عند العرب من خلال كتاب "الحيوان" للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ..... (٣٦٦)

Al-Nasa'i, Ahmad bin Shuaib bin Ali (d. 303 AH), Sunan Al-Nasa'i, edited by: Ahmed Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (Beirut – 2013).

Al-Yaqoubi, Ahmed bin Ishaq (d. 292 AH), Al-Buldan, Heritage Revival House, (Beirut - 1993)

